سُورَةُ السَّجْدَةِ

❁ التَّعريف العامُّ بالسّورة:

سـورة السَّجدة
مكّيّةٌ كلُّها

سورة السَّجدة مكّيَّة عند جمهور العلماء[1]، واستثنى بعضهم آياتٍ منها، وهي قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: 16]، وقوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: 18 - 21]؛ استنادًا إلى بعض الروايات التي جاءت عن ابن عبّاس وغيره[2].

والحقُّ أنَّه لم تثبت تلك الرّوايات التي ذكروها في أسباب النُّزول[3]، فضلًا عن أنَّ نظم الآيات والصّور التي تضمَّنتها أقرب إلى النَّظم المكّيِّ منها إلى النَّظم المدنيِّ، يقول ابن عاشور: "والَّذي نُعوِّلُ عليه أنَّ السُّورة كلَّها مكّيَّةٌ، وأنَّ ما خالف ذلك إن هو إلّا تأويل أو إلحاقُ خاصٍّ بعامٍّ"[4].

ترتيب النزول وترتيب المصحف وعد الآي:

وهي السّورة الثّانية والثّلاثون في ترتيب المصحف الشَّريف، وهو التَّرتيب الثّابت، والمُعوَّل عليه عند أهل النَّظر والتَّحقيق، جاءت

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 203.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 187 - 188، والسّيوطيّ، الإتقان في علوم القرآن: 1/ 62 - 63.
(3) الوادعيّ، الصّحيح المسند في أسباب النّزول، ص: 160.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 204.

بين سورتَي (لقمان) و(الأحزاب)، وهي عشرون وتسع آيات في البَصْريِّ، وثلاثون آية في عدد الباقين[1].

وأمّا ترتيبُها النُّزوليُّ؛ فهي الثّالثة والسَّبعون في تَعدادِ نزول السُّوَر، نزلَتْ بعد سورة (المؤمنون) وقبل سورة (الطّور)[2]، وقيل: بعد سورة (النَّحل) وقبل سورة (الطّور).

فضائل سورة السجدة:

ورد في فضائل سورة (السجدة) أحاديثُ صحيحةٌ كثيرة، وهي تدور حولَ قراءة النَّبيِّ ﷺ بها في صلاة الفجر من يوم الجمعة، نذكر منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان النَّبيُّ ﷺ يقرأُ في الجُمُعَةِ في صلاة الفجر: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجدة، و﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ [الإنسان: 1]»[3].

اسم السّورة الكريمة ودلالته:

تسميَةُ سورة السَّجدة بعدَّة أسماء مأثورة

أشهرُ أسماءِ هذه السُّورة هو "السَّجْدَة"، وهو أخْصَرُ أسمائها، وهو المكتوب في السَّطر المجعول لاسم السُّورة مِن المَصاحِفِ المتداولة، وبهذا الاسم ترجم لها أصحابُ كُتُبِ السُّنَّة.

وتُسمَّى أيْضًا بعدَّة أسماء، منها: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾، وتُسمّى: ﴿تَنزِيلُ﴾ السَّجدة، حيثُ عَنْوَنها البخاريُّ في صحيحه: سورة "تنزيل السَّجدة"[4]، وتُسمَّى: "الم تنزيلُ السَّجدة"[5]، و"الم السَّجدة"، وتُسَمَّى أيضًا "سُورةَ المَضاجع"؛ لوقوع لفظ المَضاجع في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [السَّجدة: 16]، وفي مسند الدّارميِّ أنَّ خالد بن معدانَ سمّاها: "المُنجية"[6].

(1) الدّاني، البيان في عدِّ آي القرآن، ص: 207.
(2) دروزة، التّفسير الحديث: 5/ 340.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه، برقم: (851)، ومسلم في صحيحه، برقم: (880).
(4) البخاري، صحيح البخاري: 2/ 40.
(5) أبو داوود، سنن أبي داوود: حديث رقم (804).
(6) أخرجه الدارمي في مسنده، برقم: (3451).

وأمّا وجه ارتباط اسمها (السَّجدة) بمحور السّورة؛ فيقول المهايميُّ: "سُمّيت بها؛ لأنَّ آية السَّجدة منها تدلُّ على أنَّ آيات القرآن مِنَ العظمة بحيث تخِرُّ وجوهُ الكلِّ بسماع مواعظِها، وتُنزَّهُ منزلتُها عن أن يُعارَض في كلامه، ويشكره على كمال هدايته، وهذا أعظم مقاصد القرآن"[1]، وقال الزُّحيليُّ: "سُمّيت سورةُ السَّجدة لما فيها من وصف المؤمنين الذين يسجدون للّه تعالى، ويسبِّحونه عند سماع آيات القرآن العظيم".

ويمكن أن يُضاف إلى ما ذكروه: بأنَّ تسميتها بالسَّجدة لا يمكن أن يكون لمُجرَّد اشتمالها على آية السَّجدة، فقد شاركها في ذلك بضعُ عشرة سورة في هذه الميزة، ولكنَّ تسميتَها بالسَّجدة - واللّه أعلم - إنَّما كان؛ لأنَّها ترمز إلى الخضوع للّه تعالى بالاستجابة إلى كتابه، والتَّصديق بما جاء به، ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: 15 - 16]، فكانت تسميتُها بذلك عنوانًا لما تضمَّنته من بيان أثر هذا القرآن في تحقيق المفاصلة بين النّاس، وأنَّ المؤمنين به هم مَن يعملون بهديه، ويتَّبعون أوامرَه ونواهيَه.

محور سورة السجدة العامّ:

أثـــرُ الـقـــرآن الـكـــريـــم في تحقيق المفاصَلة بينَ النّاس

مقصودُ هذه السّورة - كما يبدو - يقوم على إثبات صِدق القرآن الكريم، وصِدق ما جاء به، ومَن نزل عليه، وبيانِ أثرِ هذا القرآن المُنزَّل الثّابتِ في تحقيق المفاصلة بين النّاس، وجَعْلِهم في فريقين: مؤمنين به موقنين بمضامينه، وجاحدين به منكرين له، ثمَّ بيانِ أسانيدِ كلِّ فريقٍ مِنَ الفريقين، وأثرِ القرآن فيه، ثمَّ بيانِ جزاءِ كلِّ فريقٍ، ويمكن تفصيل ذلك على الشكل الآتي:

(1) المهايميّ، تبصير الرّحمن وتيسير المنّان: 3/ 14.

أولًا: بدأت السّورةُ الكريمة كسائر أُسَرتها مِنَ السّور المُبتَدأة بـ ﴿الٓمٓ﴾ بالحديث عن تنزيل الكتاب، ونفي الشُّبهِ حولَ مصدريَّتِه، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾.

ثانيًا: تحدَّثت السورة عن الخالق ﷻ، وإبراز مظاهر قدرته في الأنفس والآفاق: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦ ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾.

ثالثًا: تناولت السورة الحديث عن جزاء المجرمين المنكرين للبعث، الَّذين حذَّرهم منه الكتابُ المنزَّل عليهم، وندَّمهم على ما فَرَط من أعمالهم: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ۝١٢ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ۝١٣ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝١٤﴾ [السجدة: 12 - 14].

رابعًا: تحدَّثت السورة عن الصِّنف الآخرِ المقابلِ للصنف السابق، وهم مَن آمنوا بهذه الآياتِ، وعملوا بمقتضاها، وأثَّرت في سلوكيّاتهم وأفعالهم: ﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝١٥ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة: 15 - 16].

خامسًا: عقدت السورة موازنةً بين حال الفريقين المنقسمين في شأن الإيمان بمضمون هذا الكتاب: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ۝١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝٢٠﴾ [السجدة: 18 - 20].

سادسًا: خُتِمت السّورةُ الكريمة بوعيد المعرضين على استعجالهم العذاب: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡفَتۡحُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٨ قُلۡ يَوۡمَ ٱلۡفَتۡحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٢٩ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾ [السجدة: 28 - 30].

المقاصدُ الرَّئيسة للسّورة وخصائصها:

أهمّيَّةُ التَّنويه بالقرآن وبيانُ مواقفِ النّاس منه

يقول الفيروزابادِيُّ: "مقصود السّورة: تنزيل القرآن، وإنذارُ سيِّد الرُّسُل، وتخليق السَّماءِ والأرض، وخَلْقُ الخلائق، وتخصيصُ الإنسان من بينهم، وتسليطُ مَلَك الموت على قبض الأرواح، وتعذيبُ العاصين في القيامة، ومَلْءُ جهنَّم من أهل الإنكار والضَّلالة، وإسقاطُ خواصِّ العِباد في أجواف اللَّيالي للعِبادة، وإخبارُهم بما ادُّخِر لهم في العُقْبى من أنواع الكرامة، والتَّفريقُ بين الفاسقين والصّادقين في الجزاءِ والثواب، في يوم المآب، وتسليةُ النَّبيِّ ﷺ بتقرير أحوال الأنبياءِ الماضين، وتقريرِ حُجَّة المنكرين للوحدانيَّة، وأمرُ الرَّسول ﷺ بالإعراض عن مكافأة أهل الكفر، وأمرُه بانتظار النَّصر، بقوله: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَٱنتَظِرۡ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ٣٠﴾ [السجدة: 30]"[1].

وقد شاركه ابنُ عاشور في بعض هذه الأغراض الرَّئيسة، ومنها: "التَّنويه بالقرآن أنَّه مُنزَّلٌ من عند الله، وتوبيخ المشركين على ادِّعائهم أنَّهُ مفترًى، بأنَّهُم لَمْ يَسْبِقْ لَهمُ التَّشَرُّفُ بنزُول كتابٍ، والاستدلالُ على إبطال إلهيَّة أصنامهم بإثْبات انفراد اللَّه بأنَّهُ خالِق السَّماوات والأرض ومُدبِّر أمورهما، وذِكْرُ البعث، والاستدلالُ على كيفيَّة بَدْءِ خَلْقِ الإنسانِ ونسْلِه، وتنظيره بإحياء الأرض، وأُدْمِجَ في ذلك أنَّ إحياءَ الأرضِ نعمة عليهم كفروا بمُسديها، والإنحاءُ على الَّذين أنْكروهُ ووعيدُهم، والثَّناءُ على المُصدِّقينَ بآياتِ اللَّهِ ووعْدُهم، ومقابلة إيمانهم بكفر المشركين، ثُمَّ إثبات رسالة رسولٍ عظيمٍ

(1) الفيروزابادِيّ، بصائر ذوي التّمييز: 1/ 373 - 374.

قبل مُحمَّدٍ ﷺ هَدَى بِهِ أُمَّةً عَظيمَةً، والتَّذْكيرُ بِما حَلَّ بِالمُكذِّبينَ السّابقينَ ليكونَ ذلك عِظَةً للحاضرين، وتهديدهم بالنَّصر الحاصِل للمؤمنين، وختم ذلك بانتظار النَّصر، وأمَرَ الرَّسُول ﷺ بالإعراض عنهم تحقيرًا لهم، ووعده بانتظار نَصْرِهِ عليهم"[1].

الخصائص الموضوعيَّة للسورة:

تَـمـيُّـزُ سـورةِ الـسَّـجـدة بما أفـردهـا عـن غيرها مِنَ السّوَرِ

أولًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة بأنَّها ذكرت المدَّةَ التي يتمُّ بها تدبيرُ الأمرِ مِنَ السَّماء إلى الأرض، في قوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5]؛ وذلك لبيان حكمة الله تعالى في تدبير خَلْقِه، وأنَّه لا مجال لمعرفة هذه المُدَّة إلّا من خلال هذا الكتاب.

ثانيًا: تفرَّدتِ السّورةُ الكريمة بذِكْرها مَلَكَ الموتِ المُوكَّل بقبض الأرواح، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11]، وذلك في معرض وعيد المكذِّبين بالبعث، وبما جاء في الكتاب.

ثالثًا: تفرَّدتِ السّورةُ الكريمة بذِكْرها لمشهد عرض المُكذِّبين على ربِّهم يوم القيامة بصورة تقشعرُّ لها الأبدانُ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: 12]، فضلًا عن تفرُّدها بوعيدهم بنوعَيْن من العذاب في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [السجدة: 21].

رابعًا: عرضت السورة لبعض صفات المؤمنين التي لم تُذْكَر في غيرها من السّور، وذلك في قوله تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 204.

16]، وكذلك إشارتُها للجزاء العظيم الذي وعده اللّهُ تعالى للمؤمنين المحسنين: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: 17]، وقد ذكر النَّبيُّ ﷺ هذه الآيةَ لأصحابه حين قال لهم: «قالَ اللّهُ تعالى: أعددْتُ لعبادي الصّالحين، ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سَمِعَتْ، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17]»[1].

الخصائص الأُسلوبيَّة للسورة:

أولًا: تميَّزت هذه السّورةُ ببراعة الاستهلال وتفرُّدِ المطلع، فهي وإنْ شاركت أسرتَها مِنَ السّور المفتتحة بـ﴿الٓمٓ﴾، مثلِ الزَّهراوَيْن، والسّورِ الثَّلاثِ التي سبقتها: (العنكبوت، الرّوم، لقمان)، في حديثها عن الكتاب، لكن كان لكلٍّ منها خصوصيَّتُها في طريقة الاستهلال، ففي سورة البقرة: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: 1 - 2]، وفي سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [آل عمران: 1 - 3]، وفي سورة لقمان: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [لقمان: 1 - 3]، بينما ذُكِرت سورةُ السَّجدة (تنزيل الكتاب)، في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وامتازت عن آل عمران بأنَّها ذكرت (تنزيلَ الكتاب) بالاسميَّة، خلافًا لما جاء في آل عمران بقوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: 3].

ثانيًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة باختتام جُلِّ فواصلِها بحرف النّون في (27) آية من أصل (30) آية، ممّا أكسبَها إيقاعَها الخاصَّ بها؛ وذلك من شأنه أن يسهِّل حفظها، وأن يشنِّفَ الآذانَ عند سماعِها.

ثالثًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة في أسلوبها بذِكْر بعض الأبنية والمشتقّات الصَّرفيَّة التي لم تَرِد في غيرها مِنَ السّور، فمِنَ الأفعال: (نفخ)، في قوله: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾، ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ [السجدة: 12]، في قوله: ﴿فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: 12]، ﴿تَتَجَافَىٰ﴾ [السجدة: 16] التي لم ترد مادَّةً وصيغةً إلّا في هذا الموضع، في قوله: ﴿تَتَجَافَىٰ

(1) أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (3072).

جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: 16]، ومِن الأسماء: ﴿أَنْعَمُهُمْ﴾ [السجدة: 27]، في قوله: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾ [السجدة: 27]، ﴿نَاكِسُواْ﴾ [السجدة: 12]، في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة: 12]، وغيرها.

ولا شكَّ أنَّ لهذه الأبنيَةِ والاشتقاقات ارتباطًا قويًّا بمِحور السّورة ومقصودها العامِّ.

سِرُّ المناسبة بين سورة السَّجدة والسّورِ المجاورة لها:

اتِّصالُ سورةِ السَّجدة بسورتَي لقمان والأحزاب مضمونًا وأسلوبًا

جاءت هذه السّورةُ في التَّرتيب المصحفيِّ بعد سورة لقمان، وقد تقدَّمت هناك بعضُ وجوهِ الصِّلات بينهما، ومنها ما قالَه البقاعيُّ: "فلمّا كانت سورةُ لقمان - بما بُيِّن من مضمونها - محتويةً مِنَ التَّنبيه والتَّحريك على ما ذكر، ومُعلِمةً بانفراده سبحانه بخلق الكلِّ ومُلْكِهم؛ أتبعها تعالى بما يحكم بتسجيل صحَّة الكتاب، وأنَّه مِن عنده، وأنَّ ما انطوى عليه مِنَ الدَّلائل والبراهين يرفع كلَّ ريب، ويزيل كلَّ شكٍّ، فقال في مطلع السَّجدة: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

وأمّا السّيوطيُّ؛ فقد أوجز وجهَ اتِّصالها بما قبلها بقوله: "إنَّها شرحت مفاتحَ الغيب الخمسة التي ذُكِرَت في خاتمة لقمان"[2].

وبيَّن صاحبُ التَّفسير المنير ما أجمله السُّيوطيُّ بقوله: تظهر صلة سورة السَّجدة بما قبلها من ناحية اشتمال كلٍّ منهما على أدلَّة التَّوحيد، وهو الأصل الأوَّل للعقيدة، وبعد أن ذكر اللّه تعالى في لقمان الأصل الثاني، وهو الحشر أو المعاد، وختمها بهذين الأصلين؛

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 226.
(2) السّيوطيّ، تناسق الدُّرر، ص: 123.

ابتدأ سورة السَّجدة ببيان الأصل الثالث، وهو الرِّسالة أو النُّبوَّة، فقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ﴾.

كذلك تُعَدُّ بعضُ آيات سورة السَّجدة شرحًا وتفصيلًا للسّورة السّالفة، فقولُه تعالى: ﴿ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: 5] توضيحٌ لقوله تعالى في بيان مفاتح الغيب في لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34].

وقولُه سبحانه في السَّجدة: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ﴾ [السجدة: 27]، تفصيلٌ لقوله في لقمان: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: 34].

وقولُه في السَّجدة: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ﴾ [السجدة: 7]، شرح لقوله في لقمان: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ [لقمان: 34].

وقولُه في السَّجدة: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [السجدة: 5]، شرحٌ لقوله في لقمان: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ [لقمان: 34].

وقولُه في السَّجدة: ﴿أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿۞قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ﴾، إيضاحٌ لقوله: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: 34][1].

وأمّا وجهُ اتِّصالها بسورة الأحزاب المَدنيَّة بعدَها؛ فيظهر مِن ارتباط آخر السَّجدة بمطلع الأحزاب، فإنَّ سورة السَّجدة خُتِمَت بأمر النَّبيِّ ﷺ بالإعراض عن الكافرين، وانتظارِ عذابهم، وبُدِئَتِ الأحزابُ بأمره ﷺ بالتَّقوى، وعدمِ طاعةِ الكافرين والمنافقين، واتِّباعِ ما أُوحيَ إليه من ربِّه، والتَّوكُّل عليه.

ويرى بعضُهم: أنَّ سورة السَّجدة تقوم على تعظيم أمر النُّبوَّة، ببيان عظَمة اللهِ الذي أنزل الكتاب، وأنَّه خلق السَّماوات والأرض وما بينهما في ستَّة أيّام، وأنَّه استوى على العرش، وأنَّه يدبِّر الأمر مِن السَّماء إلى الأرض، وأنَّه عالمُ الغيب والشَّهادة، وأنَّه أحسنَ كلَّ شيء خلقه، إلى آخر هذه التَّجلّيات العظيمة للقدرة والرَّحمة والغضب، وتأتي سورةُ الأحزاب ليشيعَ فيها التَّشريعُ والإنباء، فالسَّجدةُ كأنَّها صوتُ الأُلوهيَّة في رَحَمُوتِها

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 182 - 183.

وجَبَروتِها واقتدارها، وسورةُ الأحزاب تتخلَّلُ الحياةَ، وتداخِلُها، وتُصَحِّحُ أخطاءها، وتُشَرِّع لسدادها وصوابها[1]، ولا يخفى أنَّ سورة الأحزاب قدِ اعتنت بأمر النُّبوَّة وبيتِ النُّبوَّة عنايةً خاصَّةً، كما سيأتي.

(1) أبو موسى، محمد، من أسرار التعبير القرآني، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب، ص: 29 - 31.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»